نظرة جديدة
في بعض الكتب المنسوبة لابن المقفع

الدكتور إحسان عباس

تمهيد

غاية هذا البحث أن يوضح بعض النواحي المتصلة بفئة من المؤلفات المنسوبة لابن المقفع ، متخذاً من قضية نسبتها إليه محوراً تتفرع عنه سائر المسائل الأخرى ، ففي سبيل الكشف عن صحة تلك النسبة أو عدمها — مثلاً — جرى البحث في مدى اعتماد المصادر التالية على تلك المؤلفات ، ومدى التقارب بين الحكمة فيها والحكمة اليونانية ؛ إلا أن هذه المسألة الأخيرة لم يجر استيفاؤها على الوجه المطلوب لأن البحث اقتصر على كتب ثلاثة ، استبعد من بينها كليلة ودمنة لما تمثله المشكلات المتصلة به من تعقيدات وتفريعات . أما الكتب الثلاثة فهي : الأدب الكبير ويتيمة السلطان والأدب الصغير .

وقد كان من الممكن دراسة هذه الكتب على ضوء محتواها ، إلا أنني تجنبت ذلك عامداً ؛ وسوف يتضح من خلال هذا البحث أن تلك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الدراسة ، على أهميتها ، تعدّ بمثابة وضع العربة أمام الحصان ، وهذا خطأ لم يسلم منه كثير من الدارسين ، فإنهم حاولوا أن يقرأوا في تلك الكتب فكر ابن المقفع وأسلوبه وطريقته في التأليف ، وأحياناً معتقده ، وكلّ هذه الأمور لا يمكن الخوض فيها قبل أوليات ضرورية ، وفي رأس تلك الأوليات إسقاط صفة الانتحال عن هذه الكتب والفصل بين دور المترجم ودور المؤلف فيها . ومن جراء تجاوز مثل هذه الأوليات تباعدت الآراء واضطربت ، فقضية الأسلوب مثلاً قد وقعت بين طرفين متباعدين متناقضين : طرف يتحدث عن روعة الأسلوب وجماله وصفائه ، وآخر يحذر من أسلوب ابن المقفع لأنه ملتوٍ قاصر عن مرتبة الوضوح موسوم بآثار الترجمة [١] ، ومثل ذلك يمكن أن يقال في القضايا الأخرى .

- ١ -

الأدب الكبير

١ - اسمه :

غلب عليه هذا الاسم رغم أن اسمه الصحيح حسبما ذكره ابن النديم [٢] وأكثر المصادر التي نقلت عنه : « كتاب الآداب الكبير » ، ويضيف ابن النديم أنه كان أيضاً يدعى « ما قرا حسيس [٣] » ، ويرى الأستاذ محمد محمدي

---

(١) انظر مقدمة أحمد زكي باشا على الأدب الصغير ، وقارن ذلك بما يقوله طه حسين في كتابه « من حديث الشعر والنثر » ص : ٤٩ - ٥٠

(٢) الفهرست : ١١٨

(٣) فرهنك ايران : ٢٦٥ ، وعبد الله بن المقفع لغفراني خراساني : ١٣٣ ؛ ويبدو أن علي بن عبيدة الريحاني قد اختار هذا الاسم أو شيئاً شبيهاً به لواحد من كتبه ، وورد الاسم « نهرار دحسيس » مصحفاً في الفهرست .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أن اللفظة محرّفة عن « ماه قرا جشنس » وهي لفظة فهلوية معناها « الحكمة الرفيعة » أو « الأدب العالي » . وقد كان شكيب أرسلان نشر هذا الكتاب قديماً [١] باسم الدرة اليتيمة ، ثم جمع محمد كرد علي بين الاسمين : « الدرة اليتيمة والأدب الكبير » ، ومنذ ذلك الحين كثر تساؤل الدارسين عن العلاقة بين التسميتين ، وهل تطلقان على كتاب واحد أو كتابين ، واستفاض البحث في هذه المسألة ، فلا حاجة إلى التصدي لها في هذا المقام ، وخلاصة ما توصل إليه الباحثون ترجيح وجود كتابين مختلفين أحدهما يسمى « الآداب الكبير » والآخر يسمى « الدرة اليتيمة » أو « اليتيمة » ، وسأعود للإلمام بطرف من هذه المشكلة — من بعد — دون الخوض في تفصيلاتها .

٢ — نسبته :

ولا يلحق هذا الكتاب أي شكّ في نسبته إلى ابن المقفع ، ذلك لأن أكثر من نقلوا عنه نسبوه إليه ، فابن قتيبة ينقل عنه ويراوح في الإشارة إليه بين « وفي آداب ابن المقفع » و « قال ابن المقفع » [٢] ، ومسكويه يورد « آداب ابن المقفع ووصاياه » في فصل مستقل من كتابه « الحكمة الخالدة » [٣] ، وعند المقارنة بين هذا الفصل والأدب الكبير

(١) كان نشره سنة ١٨٩٧ عن نسخة محفوظة بمكتبة عاشر أفندي باستانبول .

(٢) في عيون الأخبار مواطن كثيرة ، انظر مثلا ١ : ١٢٢ وقارن بنص الأدب الكبير في رسائل البلغاء : ٩٦

(٣) الحكمة الخالدة : ٢٩٣ — ٣٢٧

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

نجد تشابهاً تاماً لولا أن مسكويه حذف المقدمة ، وأسقط بعض العبارات، وتصرّف أو تصرّفت النسخة التي اعتمدها بترتيب بعض العبارات أحياناً . وأبو الحسن العامري يكثر من النقل عنه في « السعادة والإسعاد » إلا أنه مرة يصرّح باسم ابن المقفع ، ومرة يقول « قال حكيم » ، ويهمل ذكر اسم المؤلف والمصدر في أكثر الأحيان (١) ؛ كذلك يكثر الطرطوشي النقل عنه في سراج الملوك (٢) ، وأسامة بن منقذ في لباب الآداب ، إلا أن هذا الثاني ينسب الأقوال المنقولة إلى حكيم (٣) . وفي تذكرة ابن حمدون نقول كثيرة منسوبة إلى ابن المقفع (٤) ، كما أن ابن أبي الحديد يورد قطعة منه في شرح نهج البلاغة (٥) ، إلا أنه — على الأرجح — يستمدّها من عيون الأخبار لا من الأدب الكبير مباشرة .

٣ — هل هو تأليف أو ترجمة :

وقد طالما تساءل الدارسون : هل ألّف عبد الله بن المقفع هذا هذا الكتاب أو ترجمه ؟ إن مقدمة الكتاب — على رغم إعلانها من شأن الأقدمين ، وأنهم لم يتركوا شيئاً من كبريات المسائل المتعلقة بالالهيات والزهد وأقسام العلوم وضروب الآداب — تنصّ على أن الخالف يمكن

---

(١) السعادة والإسعاد : ٩٣ ، ١٣٤ ، ١٦٠ وغير ذلك .

(٢) سيأتي الحديث عن طريقة الطرطوشي في النقل عن هذا الكتاب ، فيما بعد.

(٣) لباب الآداب : ٧٤

(٤) انظر في هذا الكتاب ومعظم الكتب الواردة هنا الفقرة الخاصة بالنقول عن الأدب الكبير .

(٥) شرح النهج ١٧ : ٧٦ — ٧٧

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أن يضيف شيئاً ولو يسيراً إلى ما عمله السالف ، على شرط أن يتجنب الجليل من الموضوعات ويتحرى الموضوعات اللطيفة الدقيقة ، يشتقها من التعاليم الكبرى التي استقصاها الأقدمون ، وذلك هو ما أراده المؤلف في ما قيده في هذا الكتاب [١] ؛ وهذا يعني أن ابن المقفع كان يتكىء على نفسه في بناء خطة الكتاب ، وفي الآراء الواردة فيه وفي صياغتها والتأليف بينها. غير أن للعامري رأياً آخر ، فهو يرى أن ابن المقفع قد أتى بحكمه الأخلاقية اعتماداً على الأبستا (Avesta) – كتاب المجوس – إذ يقول « ولعمري أن للمجوس كتاباً يعرف بأبستا ، وهو يأمر بمكارم الأخلاق ويوصي بها ، وقد أتى بمجامعها عبد الله بن المقفع في **كتابه المعروف بالأدب الكبير** ، وعلي بن عبيدة في كتابه الملقب بالمصون » [٢]. ماذا يعني العامري بقوله : « أتى بمجامعها » ؟ هل يفهم من هذا أن ابن المقفع استلهم أخلاقيات الأبستا ، أو لخّص ما يهمّ القارىء المسلم منها ، أو حاكاها صياغة دون أن يخرج عن مدلولاتها العامة ؟ إن عبارة العامريّ غير واضحة في هذا الصدد . ومع أنه قد شجب هذا اللون من الأدب لأنه يعلّق الشرف الإنسيّ بالأنساب ، ويحرم الترقي من طبقة إلى طبقة [٣] ،ويخالف بذلك آداب القرآن ، فإنه سمح لنفسه بالاقتباس عنه كثيراً في « السعادة والإسعاد » – كما أشرت إلى ذلك آنفاً وكما سأوضح بالتفصيل من بعد .

---

(١) انظر رسائل البلغاء : ٤١

(٢) الاعلام بمناقب الإسلام : ١٥٩ – ١٦٠

(٣) في الأدب السياسي الفارسي إلحاح على قسمة الناس إلى طبقات والتحذير من انتقال الفرد من طبقة إلى أخرى ، انظر مثلاً : عهد أردشير : ٣٣

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٤ ـ صلته بالحكم المنسوبة لليونانيين :

وعلى الرغم مما يقوله العامريّ في المصدر الذي استوحي أو استقي منه هذا الكتاب ـ وهي قضية يتعذر إثباتها ـ فإن كثيراً من الحكم التي وردت فيه ينسب أيضاً إلى حكماء يونان ، وهذا أمر لا يقتصر على هذا الكتاب ، وإنما يعمّ كل التراث الحكمي المنسوب لابن المقفع وغيره، ولهذه الظاهرة أسباب متعددة منها :

ا) أن في التجربة الإنسانية قسطاً مشتركاً بين الأمم .

ب) أن لقاء الثقافات يولد تشابهاً في الأفكار .

ج) أن كثيراً من الأدب اليوناني ترجم إلى الفارسية وبخاصة بعد حملة الاسكندر .

د) أن الذين ينسبون الأقوال تارة إلى حكماء الفرس وتارة إلى حكماء يونان يفعلون ذلك عن طريق الخطأ أو السهو أو الاستهانة بردّ الحكمة إلى صاحبها الأصلي ، إذ المهم لديهم هو الحكمة نفسها لا قائلها .

ولست في المقارنة بين الآداب الكبير والحكم اليونانية أعني التقاء والتشابه في الأفكار ، وإنما أقصد إلى إيراد نماذج من التماثل أو التقارب في العبارة نفسها ، فمن ذلك :

١ ـ في الآداب الكبير (رسائل البلغاء : ٤٧) : لا تتركنّ مباشرة جسيم أمرك فيعود شأنك صغيراً ، ولا تلزم نفسك مباشرة الصغير فيصير الكبير ضائعاً .

وقد جاء في رسالة منسوبة إلى أرسطاطاليس بعث بها إلى الاسكندر : « وإنما الأمور كلها أمران : صغير لا ينبغي أن تباشره وكبير [لا]

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ينبغي أن تكله إلى غيرك ، ومتى باشرت صغار الأمور شغلتك عن كبارها، وإن وكلت كبارها إلى غيرك أضعت أكثر مما حفظت ، وأفسدت أكثر مما أصلحت » [١] .

٢ – في الآداب الكبير (رسائل : ٥٢) : « وليستوحش الوالي من الكريم الجائع واللئيم الشبعان فإنما يصول الكريم إذا جاع واللئيم إذا شبع » ، وقد ورد القول نفسه منسوباً إلى أفلاطون [٢] ؛ غير أن المصادر التي يهمها القول دون القائل نسبته أيضاً إلى الإمام علي [٣] وإلى عمرو بن العاص [٤] ، وأرجعته مصادر أخرى إلى الفرس فنسبته إلى كسرى [٥] .

٣ – في الآداب الكبير (رسائل : ١٠١) : « واعلم أن المستشار ليس بكفيل ، وأن الرأي ليس بمضمون ، بل الرأي كله غرر لأن أمور الدنيا ليس شيء منها بثقة » . وقد ورد القول بنصه منسوباً إلى أرسطاطاليس [٦] ، كما ورد على الشكل الآتي – منسوباً لأحد الحكماء (أي حكماء يونان) – « من سوء الأدب وضعف الرأي إدلال المستشار بصوابه ، ومن جهل المستشير أن يلوم المستشار على ما ينزل به من القضاء، لأن الرأي غير مضمون والعمل في ذلك بالتغرير » [٧] .

---

(١) مقالات فلسفية قديمة : ٤٠

(٢) مختار الحكم : ١٣٩ (٣) نهج البلاغة ٢ : ٣١٩

(٤) السعادة والاسعاد : ١٣٩ وتذكرة ابن حمدون : ١١٠

(٥) العقد ٢ : ٣٥٥ (٦) السعادة والاسعاد : ٤٣٠

(٧) مختار الحكم : ٣٤٦

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٤ – في الآداب الكبير (رسائل : ٨٢) : « واعلم أن اللئام أصبر أجساداً والكرام أصبر نفوساً ، وليس الصبر المحمود الممدوح بأن يكون الرجل جلداً وقاحاً على الضرب ، أو رجله قوية على المشي ، أو يده قوية على العمل ، فإن هذا من صفات الحمير ، ولكن الصبر المحمود الممدوح أن يكون للنفس غلوباً وللأمور محتملاً وفي الضرّ متحملاً » . وقد ورد بنصه منسوباً لأرسطاطاليس (١) ، وبعضه في « السعادة والإسعاد » دون نسبة (٢) ، وبعضه في « البصائر » منسوباً لفيلسوف (٣) .

٥ – في الآداب الكبير (رسائل : ٧١) : « ابذل لصديقك دمك ومالك ، ولمعرفتك رفدك ومحضرك ، وللعامة بشرك وتحيتك ، ولعدوك عدلك وإنصافك » (٤) ، وهو باختلاف يسير في العبارة – ينسب أيضاً إلى اسقليبوس (٥) .

٦ – في الآداب الكبير (رسائل : ٥٥) : « وإن استطعت أن تجعل صحبتك لمن قد عرفك منهم بصالح مروءتك قبل ولايته فافعل ، فإن الوالي لا علم له بالناس إلا ما قد علم قبل ولايته ، فأما إذا ولي فكل

---

(١) مختار الحكم : ٢١٥ (٢) السعادة والاسعاد : ٨٦

(٣) البصائر ٤ : ١٨٧

(٤) قارن أيضاً بعيون الأخبار ٣ : ١٥ والسعادة والاسعاد : ١٤٩

(٥) مختار الحكم : ٢٩ وعيون الأنباء ١ : ٢١ وقد أشار الأستاذ طه الحاجري إلى هذه المشاركة في كتابه « الجاحظ » : ١٤٧ ولكنه ذكر خطأ أن القول يرد في الأدب الصغير .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الناس يلقاه بالتزين والتصنع » . وقد جاء أيضاً منسوباً لسقراط ، مع اختلاف يسير في بعض اللفظ [١] .

٧ — وفي الآداب الكبير (رسائل ٨٧ - ٨٨) : ومن أقوى القوة لك على عدوك ، وأعز أنصارك في الغلبة له ، أن تحصي على نفسك العيوب والعورات كما تحصيها على عدوك ، وتنظر عند كل عيب تراه أو تسمعه لأحد من الناس : هل قارفت مثله أو مشاكله ... فكابر عدوّك بإصلاح عيوبك وتحصين عوراتك وإحراز مقاتلك .

ومن الحكم المنسوبة إلى فلوطرخس : « إن أردت أن تبلغ إلى عدوك فلا تسمّه سخيفاً ولا كذاباً ولا غاماً ، ولكن أظهر أنت من نفسك ضدّ هذه الحال ، وكن وقوراً صدوقاً رحيماً عادلاً عند كل أحد ، وإن تعجلت عليه بقذفه بالفرية فكن بعيداً مما قذفته به ، وكن متفرساً في مقالك ، ولا تكن كالذي قيل له : كيف أنت طبيب وقد امتلأت قروحاً ... » [٢]

٥ - النقول عن الآداب الكبير :

أكثر ابن قتيبة النقل عن الآداب الكبير في كتابه عيون الأخبار — وتابعه ابن عبد ربه في بعض ما نقله وقد كان الأستاذ عباس إقبال أشار إلى هذه النقول في كتابه عن ابن المقفع ، فلهذا لا أرى داعياً لاثباتها ، إلاّ أن تستدعي المقارنة شيئاً من ذلك .

وقد تقدّم القول بأن العامري أفاد من هذا الكتاب في كتابه

(١) مختار الحكم : ١٢٣ (٢) مختار الحكم : ٣١٩ - ٣٢٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

« السعادة والإسعاد » ، وكان على معرفة جيدة بكتب ابن المقفع (١) ، ولكنه لم يذكر ابن المقفع في كتابه إلا ثماني مرات ، وكان النقل في مرة واحدة منها عن الآداب الكبير (٢) ، مع أن النصوص التي نقلها عن هذا الكتاب تبلغ سبعة عشر ؛ وقد كان العامري أحياناً يأخذ النص كما هو ، وأحياناً يعمد إلى التلخيص ، وكثيراً ما جمع أقوالاً متباعدة في نطاق واحد دون أن يتقيد بحرفية النقل . وهذه هي النصوص التي نقلها « الرقم الأول يشير إلى السعادة والإسعاد والثاني يشير إلى رسائل البلغاء » :

١ - إن ريح العز تبسط اللسان بالشتم والإغلاظ من غير غضب ، فليس ينبغي أن يعد شتم الرئيس شتماً ولا إغلاظه إغلاظاً إذا كان في نفسه طاهراً (٣٨٠/٦٠) (٣)

٢ - إذا زادك السلطان تقريباً فزده إجلالاً (٣٨٠/٥٤ - ٥٥) (٤)

٣ - يجب على المرؤوس أن يجانب الظنين والمتهم والمسخوط عليه ... (٣٨٠/٦٠) (٥)

٤ إذا سأل الوالي غيرك فلا تكن أنت المجيب ... (٣٨١/٦٢) (٦)

---

(١) انظر مثلاً ص : ١٠٢ وهو نقل عن كليلة ودمنة : ٧٩ دون ذكر له « ينبغي للعاقل أن يخفي بعض فضله .... وبالاً عليها » .

(٢) انظر ص : ٩٣ من السعادة والإسعاد .

(٣) انظر أيضاً سراج الملوك : ١٠٥ ، وفيه أن ابن المقفع يخاطب ابنه بهذا القول .

(٤) انظر أيضاً سراج الملوك : ١٠٤ والعقد ١ : ١٨

(٥) انظر عيون الأخبار ١ : ٢٢

(٦) المصدر السابق ١ : ٢٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٥ – ويجب أن تعلم أن المترف لك بالفضل بغير حضرة السلطان ربما نافسك بحضرة السلطان ولم تسمح نفسه بأن يعترف لك (٦٤/٣٨١ – ٦٥)

٦ – أبذل لصديقك دمك ومالك ... (٧١/١٤٩) [١]

٧ – إذا رغبت في مودة أحد فلا تظهرن تهالكاً عليه ولا نفاراً عنه ، ولكن قاربه كأنك تريده وباعده كأنك لا تريده (٧٣/١٤٦)

٨ – إذا أردت أن تلبس ثوب الجمال عند الخاصة والعامة فكن عالماً كجاهل ، وناطقاً كعي ... (٧٥/١٦٠)

٩ – لا تعتذرن إلى من لا يجب أن يجد لك عذراً ولا تحدثن من لا يرى حديثك مغنماً ولا تستعن بمن لا يجب أن يظفر لك بحاجة ما لم يغلبك الاضطرار (٨٠/١٦٠) [٢]

١٠ – ذلل نفسك بالصبر على جليس السوء وعلى جار السوء وعلى عشير السوء ، فإن ذلك لا يخطئك (١٦٠ - ٨٣/١٦١)

١١ – السخاء سخاءان : سخاوة الرجل بما في يده وسخاوة نفسه بما في يد غيره .. (٨٤/٩٣)

١٢ – من الحيلة في أمر العدو أن تصادق أصدقاءه وتؤاخي إخوانه ومن قرب منه (٨٥/١٣٤)

١٣ – وينبغي ألا تدع إحصاء معايبه وعوراته وعثراته ، وينبغي

---

(١) المصدر السابق ٣ : ١٥

(٢) النص في السعادة والاسعاد يصحح ما جاء في الآداب الكبير .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أن تعد الجواب لعيوبك وعيوب آبائك وقرابتك وأودّائك (١٣٤/ ٨٧ — ٨٨)

١٤— واعلم أنه قلما بدء أحـــد بشيء يعرفه من نفسه إلا كاد يشـهد عليه وجهه وحاله فاجعل في نفسـك الاحتراز من هـذا الباب (١٣٤/٨٩)

١٥— لا تجالس امرءاً بغير طريقته فإن ذلك من سوء العشـرة ، وذلك أن تلقى الجاهل بالعلم والفدم بالفصاحة والساذج بالأدب (١٦٠/٩٩) (١)

١٦— ومن سوء العشرة أن تذكر عند مغتبطٍ بولاية سرعة الحوادث وتقلب الدول ... (١٦٠/١٠٠) (٢)

١٧ وإن أراد سفيه أن يستفزك باستقباله إياك بما تكره ولم يصلح السكوت عنه مخافة إبهام ريبة المقارفة أو هجنة المهانة ، فاخلط الهزل بالجد ، وذلك بأن تجيبه جواب الهازل المداعب ... (١٣٤/٧٣)

ويصنع الطرطوشي في نقله عن الآداب الكبير شبيهاً بما فعله العامري فهو يصـرح باسم ابن المقفع أحياناً ، وينسـب القول إلى بعض الحكماء أحياناً أخرى ؛ وقد يتصرف بالنقل فيقرن بين عبارات متباعدة في مواطنها الأصلية موهماً أن النقل متصـلٌ من موضع واحد ، وقد يلخص ، وقد ينقل المعنى دون اللفظ . غير أن مما يلفت النظر لديه أمرين : أحدهما

---

(١) نسب العامري هذا القول إلى حكيم .

(٢) يبدو أن النقل غير دقيق أو أنه بحسـب المعنى ، أو أن في الآداب الكبير نقصاً .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قولٌ ذكر فيه أن ابن المقفع يخاطب ابنه (١) ، ونحن لا نعرف أن الآداب الكبير ألف لمخاطَب بعينه ، والثاني أنه يورد قولاً من أقوال الآداب الكبير ويذكر أنه ينقله من كتاب اليتيمة لابن المقفع (٢) ، وهذا يدلُّ على الخلط بين الكتابين كما سأوضح من بعد . وفي عصر الطرطوشي وما بعده كثرت النقول عن الآداب الكبير ، من ذلك ما نقله الراغب الأصبهاني وابن حمدون وأسامة وابن أبي الحديد ؛ وسأورد ما نقلته هذه المصادر — مما لم تشترك فيه مع السعادة والاسعاد (جاعلاً الرقم الأول للمصدر المعتمد والثاني لرسائل البلغاء :

١٨— الملوك ثلاثة : ملك دين وملك حزم وملك هوى ... إلى قوله : فلعب ساعة ودمار دهر (سراج ٤٧/٤٩) (٣)

١٩— الناس على دين الملك إلا القليل ، فإن يكن للبر والمروءة عنده نفاق فسيكسد بذلك الفجور والدناءة في آفاق الأرض (سراج ٥٢ / ٥٢)

٢٠— والسلطان خليق أن يعوِّد نفسه الصبر على من خالف رأيه من ذوي النصيحة ، والتجرع لمرارة قولهم (سراج ٤٧/٥٣) (٤)

٢١— وينبغي ألا يحسد إلا على حسن التدبير ولا أن يكذب لأن

---

(١) سراج الملوك : ١٠٥ (٢) سراج الملوك : ٨٥

(٣) انظر أيضاً لباب الآداب : ٤٩ وتذكرة ابن حمدون : ٣٨ والقول فيها مصدر بـ « قالت الحكماء » .

(٤) تذكرة ابن حمدون : ٤٨ وصرح بنسبته لابن المقفع .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أحداً لا يقدر على استكراهه ... إلى قوله : لأن قدره جلّ عن المجازاة (سراج ٥١/٥٣) (١)

٢٢- إذا ابتليت بصحبة سلطان لا يريد صلاح رعيته ، فقد خيرت بين أمرين ... إلى قوله : ولا حيلة لك إلا الموت أو الهرب منه (سراج ٥٣ / ٥٦)

٢٣ ولا ينبغي للوالي أن يدع تفقد لطيف أمور الرعية اتكالاً على نظره في جسيمها فإن للّطيف موقعاً ينتفع به (سراج ٥٣ — ٥٤ / ٥٢) (٢)

٢٤ إذا أكرمك الناس لمالٍ أو سلطان فلا يعجبك ذلك فإن زوال الكرامة بزوالهما ، ولكن ليعجبك إن أكرموك لأدب أو علم أو دين (سراج ٩٦/٥٤) .

٢٥ — الصبر صبران : فالئام أصبر أجساماً والكرام أصبر نفوساً .. إلى قوله : ولجأشه عند الحفاظ مرتبطاً (سراج ٨٢/٨٥) (٣) .

٢٦ — صاحب السلطان كراكب الأسد يخافه الناس وهو لمركبه أخوف (سراج ٥١/١٠٤) (٤) .

---

(١) خلط بها الطرطوشي عبارات ليست لابن المقفع ونسبها لبعض الحكماء ، وانظر تذكرة ابن حمدون : ٤٥ وقارن بما ينسب لمعاوية ص : ٥٢

(٢) أوردها دون نسبة .

(٣) هنا ذكر أنه ينقل عن اليتيمة ، وقارن بما في نهج البلاغة ٢ : ٣١٩

(٤) نسب الطرطوشي القول لبعض الحكماء .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٢٧ ـ لتكن حاجتك في سلطانك ثلاث خلال .... إلى قوله : ولا عليك أن تلهى عن المال فسيأتيك منه ما يكفي ويطيب (سراج : ١٠٥/٤٥) .

٢٨ ـ ٣٠ : اعلم أن السلطان إذا انقطع منك في الآخر نسي الأول، فأرحامهم مقطوعة ، وحبالهم مصرومة ، إلا من رضوا عنه في وقت ساعتهم (سراج : ١٠٦/٥٨) وإذا رأيت من الوالي خللاً لا تنبغي فلا تكابده على ردّها ، فإنها رياضة صعبة لكن أحسن مساعدته على أحسن رأيه فإذا استحكمت منه ناحية من الصواب كان ذلك الصواب هو الذي يبصره الخطايا اللطيفة أكثر من تبصيرك ، واجعل العدل من حكمتك ، فإن العدل يدعو بعضه إلى بعض فإذا تمكن اقتلع الخطأ (سراج ١٠٦/٥٦-٥٧) ولا تطلب ما قبل الوالي بالمسألة ، ولا تستبطئه وإن أبطأ ، ولكن اطلب ما قبله بالاستحقاق والاستيناء ، فإنك إذا استحققته أتاك من غير طلب وإذا لم تستبطئه كان أعجل له (سراج : ١٠٦/٥٧) (١) .

٣١ ـ كان لي صديق من أعظم الناس في عيني .. إلى قوله : خير من ترك الجميع (سراج : ١٢٩ /١٠٥ ـ ١٠٦) (٢) .

٣٢ ـ إذا رأيت صديقك مع عدوك فلا يوحشنك ذلك .. (محاضرات الراغب ٢ : ١٠/٧٣) .

---

(١) أوردتها معاً لتكون مثالاً على بعض طريقة الطرطوشي في النقل .

(٢) هذا القول نسب في بعض المصادر للامام علي ، وعند ابن قتيبة ٢ : ٣٥٥ للحسن بن علي ؛ انظر الحكمة الخالدة : ٣٢٦ الحاشية : ١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٣٣ جميع ما يحتاج إليه الوالي من أمر الدنيا رأيان : رأي يقوّي به سلطانه ورأي يزينه للناس (لباب الآداب : ٥٤/٧٤) [١] .

٣٤ ـ لا تكونن صحبتك للملوك إلا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم .. (شرح النهج ١٧ : ٦٩/٧٥ ـ ٧٠) [٢] .

٣٥ وإذا سأل غيرك عن شيء فلا تكن أنت المجيب واعلم أن استلابك الكلام خفة فيك ... (شرح النهج ١٧ : ٦٢/٧٧) .

٣٦ ـ إنك إن تلتمس رضى جميع الناس تلتمس ما لا يدرك ... (تذكرة ابن حمدون ٤٦/٤٠) [٣] .

٣٧ ـ احرص أن تكون خبيراً بأمور عمالك فإن المسيء يفرق من خبرتك ... (التذكرة ٤٧/٤١) .

٣٨ ـ ليعرف الناس من أخلاقك أنك لا تعاجل بالثواب ولا العقاب ... (التذكرة : ٤٧/٤١) .

٣٩ ـ ليعلم الوالي أن الناس يصفون الولاة بسوء العهد ونسيان الودّ ... (التذكرة : ٥٢/٤٦) .

٤٠ ـ ليتفقد الوالي فيما يتفقد من أمور رعيته فاقة الأحرار والأخيار (التذكرة ٥٢/٤٦) .

---

(١) نسبه أسامة إلى حكيم .

(٢) انظر أيضاً عيون الأخبار ١ : ٢٠ وهذا النص يدل على أن ابن أبي الحديد ينقل عن عيون الأخبار ، لأن بعض عباراته لم ترد في الآداب الكبير .

(٣) صرح ابن حمدون بنسبة هذا القول إلى ابن المقفع .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٤١ – لا يحسن بالوالي أن يحسد من دونه . . . . (التذكرة ٤٦/٥٣) .

٤٢ – لا يولعن الوالي بقول الناس في سوء الظن ... (التذكرة : ٤٦ / ٥٣) .

٤٣ – لا يضيعن الوالي التثبت عند قوله وفعله وعطائه ... (التذكرة ٤٦ / ٥٣) .

٤٤ – اعلم أن رأيك لا يتسع لكل شيء ، ففرّغه لمهم ما يعنيك (التذكرة : ٤٧/٤٨) .

٤٥ – إن كان سلطانك عند جدة الدولة فرأيت أمراً استقام بغير رأي أو أعوانٍ ... (التذكرة : ٤٨/٥٠) .

٤٦ – لا تكونن نزر الكلام والسلام ولا تفرطن في الهشاشة والبشاشة ... (التذكرة : ٤٩/٥٠) (١) .

٤٧ – إذا أردت أن يقبل قولك فصحح رأيك ولا تشوبنه بشيء من الهوى ... (التذكرة : ٦٧/٥٥) .

٤٨ – إذا ابتدأك أمران لا تدري أيهما أصوب فانظر أيهما أقرب إلى هواك فخالفه ... (التذكرة : ٧٧/٩٨) (٢) .

---

(١) ورد عند ابن حمدون دون نسبة .

(٢) نسبه ابن حمدون لابن المقفع .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

— ٢ —

يتيمة السلطان

لا يزال تحديد الطابع العام لكتاب اليتيمة أو الدرة اليتيمة لابن المقفع مشكلة تتطلب حلاً ، فالنقل الذي أورده ابن قتيبة [١] عن اليتيمة لا يلتقي في طبيعته مع ما اقتبسه ابن أبي طاهر طيفور من ذلك الكتاب[٢]، ولعلّ السبب في ذلك أن ابن أبي طاهر اكتفى بنقل فقرات من المقدمة ، وأعرض عن اقتباس شيء من صلب الكتاب لشهرته [٣] . وقد شهد الأقدمون بقيمة الكتاب ، من ذلك ما ينسب للأصمعي أنه : « لم يصنف في فنه مثله » [٤] ويقول ابن أبي طاهر : « ومن الرسائل المفردات التي لا نظير لها ولا أشباه ، وهي أركان البلاغة ، ومنها استقى البلغاء لأنها نهاية في المختار من الكلام ، وحسن التأليف والنظام : الرسالة التي لابن المقفع ، اليتيمة ، فإن الناس جميعاً مجمعون أنه لم يعبر أحد عن مثلها ، ولا تقدمها من الكلام شيء قبلها » [٥] .

ولا يزال فقدان هذه الرسالة يجعلنا نتوقف بحيرةٍ عند قول الباقلاني: إن الدرة اليتيمة كتابان أحدهما يتضمن حكماً منقولة .. والآخر في شيء من الديانات » [٦] . ترى هل هذا يعود بنا إلى قول العامري إن كتاب

---

(١) عيون الأخبار ١ : ٣ (٢) رسائل البلغاء : ١٠٧ — ١١١
(٣) المصدر السابق : ١٠٨ (٤) وفيات الأعيان ٢ : ١٥١
(٥) رسائل البلغاء : ١٠٧ — ١٠٨
(٦) إعجاز القرآن : ٤٦ — ٤٧

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الأدب الكبير أتى بجامع ما في الأبستا ، وأن الأدب الكبير - في نظر العامري — ليس إلا الدرة اليتيمة ؟ إن مما يرد على هذا الافتراض أن ما نقله ابن قتيبة وابن أبي طاهر لم يرد في ما لدينا من كتاب باسم الأدب الكبير ، وإذا كان من تفسير لهذا الوضع فهو أن الخلط بين كتابين : أحدهما يسمى الأدب الكبير والآخر اليتيمة (أو الدرة اليتيمة) إنما يرجع إلى عهد مبكر ، وأن كلام العامري يومىء إلى هذا الخلط بين الكتابين ؛ وإذا كان ذلك كذلك فإن قول الباقلاني إن الدرة اليتيمة يقع في كتابين مؤكد لهذا الخلط أيضاً ، فالحكم المنقولة هي ما وصلنا باسم الأدب الكبير ، والحديث عن الديانات يقع في قسم ثان من اليتيمة ، أي أن الأدب الكبير على هذا الاعتبار يعد واحداً من جزءين ، وقد تساهل الناس في التسمية ، فمرة استعملوا اسم الأدب الكبير ومرة استعملوا اليتيمة للدلالة — بإحدى التسميتين - على الجزءين معاً ، وقد مرّ بنا أن الطرطوشي نقل نصّاً قال إنه اقتبسه من اليتيمة ، والنص ثابت في الأدب الكبير .

ولكنّ هناك أمراً آخر : فقد نشر الأستاذ محمد كرد علي في رسائل البلغاء رسالة بعنوان « يتيمة السلطان » ، ونسبها لابن المقفع اعتماداً على نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية (رقم : ٦٧٢ مجاميع)[1].

وتقع هذه الرسالة بحسب المصادر التي نُقِلَتْ عنها في ثلاثة أقسام :

١ — القسم الأول : (ص ١٤٦ — ١٥٣) ؛ ومعظم هذا القسم هو جاويذان خرد (١٧ — ١٨) مع حذف بعض العبارات من أولها ،

(١) انظر رسائل البلغاء : ١٤٥ — ١٧٢

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والبدء بعبارة « العلم روح والعمل بدن (الحكمة ص ٧ س ٩) والاتباع يكاد يكون حرفياً تماماً ، لولا فروق يسيرة في القراءة ، وسقوط جملة هنا أو لفظة هنـــالك في مواطن قليلة . وتزيد اليتيمة عبارتين (ص : ١٥٣) وهما :

ا ــ « العلم قائد والعمل سائق والنفس حرون فإذا كان القائد لا سائق له تلكأت ، وإذا كان السائق بلا قائد عدلت يميناً وشمالاً ، وإذا كان لها قائد وسائق أتت طوعاً وكرهاً » . وهي حكمة قد وردت في عيون الأخبار[1] مع بعض اختلاف يسير في العبارة .

ب ــ « العلم يرشدك وترك ادعائه ينفي عنك الحسد .. إلى قوله : ولايني في العلم إذا طلبه » .

ثم تتلو هاتين العبارتين عبارة الختام مع بعض تغيير أيضاً في الخاتمة ، وقد زيد عليها قولان من أقوال حكماء يونان[2] .

٢ ــ القسم الثاني (بقية ص ١٥٢ ــ ١٦٨) وهو منقول برمته عن كليلة ودمنة ، إذ جردت الحكم ــ وحدها .. من الكتاب المذكور ورتبت مع المحافظة ـ في الغالب ـ على سياق ورودها في الأصل[3] .

٣ ــ القسم الثالث (ص ١٦٨ ـ ١٧٢) : وقد سقط أوله ،

---

(١) عيون الأخبار ٢ : ١٢٧

(٢) قد أشار محقق الحكمة الخالدة إلى هذا اللقاء بين جاويذان خرد ويتيمة السلطان ، انظر ص : ٧ ، الحاشية رقم : ٥ ، وأجرى مقارنة بين النصين .

(٣) لا أرى أن أورد هنا مقارنات بين الكتابين ، إذ يستطيع من شاء أن يتتبع مواضع اللقاء بينهما دون عناء .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولكن من الواضح أنه مؤسس على خرافة من كليلة ودمنة (أخرت حتى نهاية القسم السابق ، أي بعد انتهاء الحكم) وهي تتحدث عن إنسان هرب من فيل فسقط في بئر فوقع على أربع حيات ، ثم شرح الرمز الذي تتضمنه هذه الخرافة ، ، ثم مناجاة للنفس كي تتعظ من الأمثولة السابقة . وبعد ذلك فصل تصويري للمقارنة بين العقل والدولة والعافية يتلوه سؤالان أجاب عنهما بعض الحكماء .

من هذا يتبين لنا أن يتيمة السلطان ليست كتاباً جديداً يضاف لابن المقفع وإنما هي عمل تلفيقي قام بجمعه أحد النساخ أو أحد الشغوفين بالأقوال الحكمية ، ربط فيه بين جاويذان خرد ، وهو ليس من ترجمة ابن المقفع ، إذ المشهور أنه من ترجمة الحسن بن سهل (١) ، وبين حكم كليلة ودمنة ، وأضاف إليها قدراً يسيراً من مصدر ثالث .

إن مثل هذا التلفيق قد يفسّر أيضاً حقيقة ما يسمّى الأدب الصغير ، كما سأوضح في الفصل التالي .

- ٣ -

الأدب الصغير

١ — نسبته إلى ابن المقفع :

منذ سنوات ذهب بعض الدارسين وجهة الشك في نسبة كتاب الأدب الصغير إلى ابن المقفع ، وكان من أول من جهروا بهذا الرأي الأستاذ جوستاف رختر (٢) ، فقد قابل بين هذا الكتاب والأدب الكبير

(١) انظر الحكمة الخالدة : ٣

(٢) Gustav Richter : über das Kleine Adabbuch des Ibn al Muqaffa' in der Islam 1931 pp. 278 - 81

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فرأى بينهما اختلافاً جوهرياً من حيث الشكل العام والأسلوب والمحتوى ، وتوصَّل من خلال المقارنة إلى مفارقات دقيقة .

وكانت المشكلة التي تعترض نفي نسبة الكتاب إلى ابن المقفع أن ابن النديم ذكره بين كتبه ، ولكن عند تتبع النقول التي أوردها ابن قتيبة من آداب ابن المقفع ، وجد رختر أنها جميعاً من الآداب الكبير ، وليس فيها أي نقل من الأدب الصغير ، فقدر أن يكون الكتاب مما صنف في فترة واقعة بين ابن قتيبة وابن النديم (أي بين ٢٧٦ – ٣٧٧ على وجه التقريب) ، وإذن فإن الكتاب ليس لابن المقفع ، ولما كان لهذا الكاتب كتاب باسم الأدب الكبير رأى جامع الكتاب الثاني – أو رأى من ظنه لابن المقفع – أن يسميه للتمييز بين الكتابين باسم « الأدب الصغير » .

وقد درس الأستاذ جبرايللي كتب ابن المقفع (١) ، وقام بمتابعة رختر في نفي نسبة الأدب الصغير عنه ، وزاد على ذلك بأن بيّن مدى اعتماد هذا الكتاب على نصوص منتزعة من كليلة ودمنة (٢) ، وكان أحمد زكي باشا الذي نشر الكتاب سنة ١٩١١ قد نوه بذكر هذه المشاركة بين الأدب الصغير وكليلة ودمنة ، إلا أنه لم يقف منها إلا عند ثلاثة أمثلة (٣) .

---

(١) F. Gabrieli , L' Opera di Ibn al - Muqaffa' in RSO, vol X III , Fasc. III, 1932 pp. 197 - 274

والكلام عن الأدب الصغير في الصفحات ٢٢٨ – ٢٣٠

(٢) انظر المقالة السابقة ص ٢٢٩ الحاشية ٤

(٣) انظر مقدمة الأدب الصغير .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد اعتقد الأستاذ رختر – بقوة الحدس – أن الكتاب يعتمد ولا بدّ على أصلٍ أو أصول ليست لابن المقفع ، ولعلّ الأيام قد صدقت حدسه ، وهذا ما سأحاول أن أبينه فيما يلي :

٢ – مصادره :

يمكن أن يقسم الأدب الصغير بحسب المصادر التي أخذ عنها – بعد المقدمة – في أربعة أقسام :

١ – القسم الأول :

قطعة منسوبة لحكيم فارسي وردت في الحكمة الخالدة لمسكويه (ص ٦٨ – ٧٤) وهي تقابل ما جاء في الأدب الصغير (رسائل البلغاء : ٨ – ١٦) ويبدأ ذلك بقوله « الواصفون أكثر من العارفين ، والعارفون أكثر من الفاعلين .. » وينتهي بقوله : « ثم عليهم بعد ذلك ألا يتركوا محسناً بغير جزاء ، ولا يقروا مسيئاً ولا عاجزاً على الإساءة والعجز ، فإنهم إن تركوا ذلك تهاون المحسن واجترأ المسيء وفسد الأمر وضاع العمل » .

ويجب أن نلحظ هنا أن المقدمة لم ترد في الحكمة الخالدة إلا جملة واحدة منها هي قوله : « لسنا بالكدّ في طلب المتاع الذي نلتمس به دفع الضرّ والعيلة بأحقّ منا بالكدّ في طلب العلم الذي نلتمس به صلاح الدين والدنيا » . كذلك فإن الفقرة الأخيرة في هذا القسم – وهي مشتركة بين الأدب الصغير وأقوال الحكيم الفارسي – ثابتة أيضاً في كليلة ودمنة [١] ، وهذا أمر يستدعي التوقف والتفسير ؛ ولكن قبل ذلك أعرض جدولاً يصلح أن يتخذ أساساً للمقارنة بين النصين :

---

(١) انظر رسائل البلغاء ١٥ – ١٦ حتى السطر ١٠ وقارن بما في كليلة ودمنة ٢٥٨

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الأدب الصغير

١ ـ الواصفون أكثر من العارفين، والعارفون أكثر من الفاعلين، فلينظر امرؤ أين يضع نفسه، فإن لكل امرىء لم تدخل عليه آفة نصيباً من اللب يعيش به لا يحب أن له به من الدنيا ثمناً، وليس كل ذي نصيب من اللب بمستوجب أن يسمّى في ذوي الألباب، ولا أن يوصف بصفاتهم، فمن رام أن يجعل نفسه لذلك الاسم والوصف أهلاً فليأخذ له عتاده وليعدّ له طول أيامه وليؤثره على أهوائه (٨–٩)

٢ – ومن نسي تهاون وخسر (١٢)

٣ – وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على نفسه ألا يشغله شغل عن اربع ساعات (١٣)

٤ – وعلى العاقل أن لا يكون راغباً إلا في إحدى ثلاث خصال (١٣)

الحكمة الخالدة

١ – اعلم أن الواضعين [كذا] أكثر من العارفين، والعارفون أكثر الفاعلين، وليس كل ذي نصيب من اللب بمستوجب أن يسمى لبيباً، ولا أن يوصف بصفات ذوي الألباب، فمن رام أن يجعل لنفسه حظاً منه فليأخذ أهبته وليؤثره على أهوائه (٦٨ – ٦٩)

٢–ومن نسي وتهاون فقد خسر خسراناً مبيناً (٧١)

٣ وعلى العاقل ألا يشغله شغلٌ عن أربع ساعات (٧١)

٤–وعلى العاقل ألا ينظر إلا في ثلاث خصال (٧٢)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الأدب الصغير

٥ – وعلى العاقل ألا يستصغر شيئاً من الخطأ في الرأي والزلل في العلم والإغفال في الأمور (١٣)

٦ – وإنما هي ثلم يثلمها العجز والتضييع ... ولم نر شيئاً قط قد أتي إلا من قبل الصغير المتهاون به ، قد رأينا الملك يؤتى من قبل العدو المحتقر ، ورأينا الصحة تؤتى من الداء الذي لا يحفل به ، ورأينا الأنهار تنبثق من الجدول الذي يستخف به (١٣ – ١٤)

٧ – وعلى العاقل أن يعرف أن الرأي والهوى متعاديان وأن من شأن الناس تسويف الرأي وإسعاف الهوى ، فيخالف ذلك ويلتمس أن لا يزال هواه مسوفاً ورأيه مسعفاً (١٤)

الحكمة الخالدة

٥ وعلى العاقل إذا استشار عقله ألا يخالفه ولا يستصغر شيئاً من الخطأ الذي يخالفه فيه إن كان في رأي وزلل في علم أو إغفال في أمر (٧٢)

٦ – وإنما هي ثلم يثلمها الجهل والعجز والاهمال .. ولم نر مستكثراً مستعظماً إلا وقد أتي من جهة الصغير المتغاوى فيه المتهاون به وقد رأينا الملك يؤتى من جهة [العدو] المحتقر ، ورأينا الصحة تؤتى من جهة المحتقر حتى يهجم منه على الداء الذي لا خلاص منه ، ورأينا الأنهار تنبثق من الثقب الصغير اليسير المستهان به (٧٢)

٧ – (لم ترد في الحكمة الخالدة)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الأدب الصغير	الحكمة الخالدة
٨ – ومن أسس أمره على غير ذلك لم تجد لبنيانه قواماً (١٥)	٨ – ومن أسس أمره على خلاف ذلك وجد الخلاف والوهن (٧٣)
٩ – لا يستطاع السلطان إلا بالوزراء والأعوان ولا تنفع الوزراء إلا بالمودة والنصيحة ، ولا المودة إلا مع الرأي والعفاف (١٥)	٩ – السلطان لا يستطاع إلا بالأمناء والنُصحاء ، والأمناء والنصحاء لا يوجدون إلا مع المودة ، والمودة لا تتم إلا بمشاركة لا استئثار معها (٧٤)
١٠ أن يكون صاحب السلطان عالماً بأمور من يريد الاستعانة به ، وما عند كل رجل من الرأي والغناء وما فيه من العيوب ... إلى قوله : ولا يأمن عيوبه وما يكره منه (١٥-١٦)	١٠ – أن يكون صاحب السلطان عالماً بأمور الدنيا وبأمور من يريد الاستعانة به حتى يندب لكل عمل من عرفه بالنفاذ والأمانة والرأي فيه (٧٤)
١١ – (لم ترد في الأدب الصغير)	١١ وأما التنكيل فإنه يعاقبها إذا عصته في بعض الأوقات بالزامها ما يشق عليها من الصدم والسطي والعبادات الثقيلة والسعي الذي فيه طول ومشقة إلى المواضع التي يشرفها الناس (٧٠)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من هذا الجدول يمكن أن تستخلص النتائج الآتية :

١ – إن الأسلوب الأساسي في النصين – على ما بينهما من فروق – واحد ، وأن الفروق لا ترجح أبداً نسبة الصياغة إلى غير مترجم واحد .

٢ – إن هناك تغييرات جزئية ، عدا اختلاف القراءات أريد بها تحسين الأسلوب فبدلاً من « وخسر » « رقم : ٢ » نجد : « فقد خسر خسراناً مبيناً » ومثل « ألا ينظر إلا في » (رقم : ٤) بدلاً من « ألا يكون راغباً إلا في » .

٣ – إن هناك زيادات جزئية مثل : « ما لم يكن مغلوباً على نفسه » (رقم : ٣) ومثل : « إذا استشار عقله ألا يخالفه » (رقم : ٥) ومثل هذه الزيادات قد تسقط إما إيجازاً أو سهواً .

٤ – إن هناك عبارات وردت في الأدب الصغير ولم ترد في الحكمة الخالدة والعكس كذلك صحيح (رقم : ٧ ، ١١) ولتعليل ذلك قد يقال إن جامع الأدب الصغير زاد هنا وهنالك بعض العبارات أو أنها مما أضيف على يد بعض النساخ أو القراء ، وفي حال الزيادة (رقم : ١١) فإن التفريع في الفقرة يتطلبها ، وعدم ورودهـــا في الأدب الصغير من قبيل الاضطراب أو السهو .

٢ – القسم الثاني :

قطعة تبدأ بقوله : « اقتصار السعي أبقى للجام ، وفي بعـد الهمة يكون النصب ... (رسائل ص : ١٦ ، س : ١١) وتستمر حتى قوله: « من أراد أن يبصر شيئـاً من علم الآخرة فبالأشياء التي هي تدل عليه (رسائل ص : ٢٤ ، س ١٠ ١١) . وهذا القسم لم أستطع العثور على مصدره حتى الساعة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٣ – القسم الثالث :

قطعة تتفق ووصية للفرس وردت في الحكمة الخالدة (٧٤ – ٧٧) وهي تقابل ما في رسائل البلغاء (ص ٢٤ – س ٣ من ص ٣٠ ، والأسطر ٥ – ٧ من ص : ٣١) وعند المقارنة بين القطعتين نجد بعض الفروق منها: إن الكلام في الأدب الصغير يجري مجرى الغيبة : « وليكن صدوقاً ليؤمن على ما قال ، وليكن ذا عهد ليوفى له بعهده ، وليكن شكوراً ليستوجب الزيادة » وقد ورد هذا وغيره في الوصية الفارسية بصيغة الخطاب « كن صدوقاً لتؤمن على ما تقول . . » .

وهنالك عبارات في الوصية لم ترد في الأدب الصغير ، فهذا القول في الوصية : « اعلم أنه ليس أحد تؤديه التوبة إلى النار ، ولا أحد يؤديه الإصرار إلى الجنة ، فتبْ من كل ما تعلمه خطيئة ، ولا تصرّ على ذنب وإن كان صغيراً » يقابله في الأدب الصغير : « لا تؤدي التوبة أحداً إلى النار ولا الإصرار على الذنب أحداً إلى الجنة » وسقط سائر العبارة . وفي الأدب الصغير عبارات كثيرة لم ترد في الوصية ، وهذا ثبت بما لم يرد فيها وورد في الأدب الصغير :

١) ص ٢٥ ، س ٣ – ١١

٢) ص ٢٦ ، س ٩ – ١٥

٣) ص ٢٧ ، س ٧ – ٩ ، ١٢ ، ١٣

٤) ص ٢٨ ، س : ١٤

٥) ص ٢٩ ، س ١ ، ٢ ، ٥ – ٩ ، ١٦

٦) كل ما في صفحتي ٣٠ ، ٣١ (ما عدا س ٥ – ٧ في الثانية) .

٧) ص ٣٢ ، س ١ – ٩

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد يدعو هذا إلى الظن - لأول وهلة - أن الأدب الصغير أصل، وأن الوصية مأخوذة عنه ، ولكن مما ينقض هذا أنه عندما تنتهي المشاركة بين الوصية و لأدب الصغير تستمر الوصية فتشغل عدة صفحات أخرى (٧٨ - ٨٥) مما يدل على استقلال أصلي في مبناها العام ووحدتها .

ومما يستوقف النظر في هذا القسم أمران :

أولها : ورود بعض الأقوال المتعلقة بالدين في الأدب الصغير وعدم ورودها في الوصية مثل : « المؤمن بشيء من الأشياء وإن كان سحراً خير ممن لا يؤمن بشيء ولا يرجو معاداً » (رسائل : ٢٥) ومثل : « لايثبت دين المرء على حالة واحدة أبداً ولكنه لا يزال إما زائداً وإما ناقصاً » (رسائل : ٢٦) وهما قولان في غاية الغرابة . فإذا أضفنا إلى ذلك أن أكثر النصوص المتعلقة بالدين قد ورد في القسم الثاني (١٦ - ٢٤) وهو القسم الذي ما يزال أصله مجهولاً أدركنا أن هذه الصبغة الدينية لم تكن واضحة في الوصية الفارسية ، وأن جامع هذه النصوص توخى أن يمنح مختاراته لوناً دينياً إسلامياً إلى حد ما ، وقد استوقفت هذه الظاهرة الأستاذ رختر وكانت من الأسباب التي اتكأ عليها في نفي الكتاب عن ابن المقفع؛ غير أن الأستاذ روزنتال عمد إلى الضد من ذلك ، حين أبرز هذه الناحية ودرسها على أنها تمثل موقف ابن المقفع من الدين والسياسة ، لأنه لم يقتنع برفض رختر لنسبة الكتاب إلى ابن المقفع ، ومن ثم حكم على الكتاب بأنه منزعه ديني إسلامي تزهيدي (١) .

---

(١) انظر Ervin I. J. Rosenthall, Political Thought in Medieval Islam Cambridge 1958 pp. 69 - 71

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وثاني الأمرين أن هناك تناقضاً أساسياً أحياناً بين ما يجيء في الأدب الصغير وبين ما يجيء في الوصية الفارسية ، من ذلك مثلاً : « المروءة لا يظهرها إلا المال » (رسائل : ٣٤ وهذا القول من حكم كليلة ودمنة) بينما جاء في الوصية « لا يقولن أحدٌ : المروءة تكون بالمال ، فإن المال يمحق المروءة والإنسانية » (الحكمة الخالدة : ٨١) وهذا قد يثبت أن ما حذف من الأدب الصغير أو ما أضيف إليه إنما كان يمثل - إلى حد ما - وعياً عامداً لدى جامعه بما يريد أن يثبته فيه أو ينفيه .

٤ — القسم الرابع :

قطعة مأخوذة من كليلة ودمنة ، على نحو ما حدث في « يتيمة السلطان » إلا أن جامعها لم يكن يحرص فيها على ترتيب الحكم حسب ورودها في الأصل ؛ ويبدأ هذا القسم (ص : ٣٢ ، س ١٠) ويستمر حتى نهاية الأدب الصغير (ص : ٣٧) ومن اللافت للنظر أن سبعة من الأقوال المأخوذة عن كليلة ودمنة ، قد وردت كذلك في الوصية الفارسية ، وقد رأيت أن أشير إلى هذه العبارات بإيجاز مبيناً مواطنها في كليلة ودمنة ، وها هي مرتبة حسب ورودها في الأدب الصغير . (رقم الصفحة يشير إلى كليلة ودمنة) .

١) وكان يقال قارب عدوك ... نقص الظل (١٥٦ والحكمة الخالدة : ٧٧) .

٢) الحازم لا يأمن عدوّه ... مكره (١٥٦ والحكمة الخالدة ٧٧)

٣) الملك الحازم ... الأنهار (١٥٦)

٤) الظفر بالحزم ... الأسرار (١٥٧)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٥) إن المستشير ... مشاورتها (١٥٧)

٦) لا يطمعن ذو الكبر ... الملك (١٨٠)

٧) صرعة اللاين ... المكابرة (١٨١)

٨) أربعة أشياء ... والدين (١٨١)

٩) أحق الناس بالتوقير ... أعماله (١٨٢)

١٠) السبب الذي يدرك به ... طلبته (١٢٩)

١١) إن أهل العقل ... أبداً (١٣٢)

١٢) والكريم يمنح الرجل .. رهبته (١٣٢، والحكمة الخالدة: ٧٨)

١٣) إن أهل الدنيا ... الكاملة (١٣٣)

١٤) ما التبع والأعوان ... عيباً (١٤٠)

١٥) وكان يقال ... راحة (١٤١)

١٦) وجدنا البلايا ... والشره (١٤٣)

١٧) وسمعت العلماء ... فقدهم (١٤٣)

١٨) لا يتم حسن الكلام ... علمه (١٤٤)

١٩) والرجل ذو المروءة ... وخلخل (١٤٤)

٢٠) ليحسن تعاهدك لنفسك... الحدور (١٤٤ والحكمة الخالدة :٧٨)

٢١) وقيل في أشياء ... صالح عمله (١٤٤ والحكمة الخالدة :٧٨)

٢٢) إن أولى الناس ... آمناً (١٤٥)

٢٣) لا تعد غنياً ... الأحبة (١٤٥، ١٤٦ والحكمة الخالدة:٧٨)

٢٤) ومن المعونة ... سروره (١٤٦ والحكمة الخالدة :٧٨)

٢٥) وقلما نرانا ... أخرى (١٤٦ - ١٤٧)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٢٦) لقد صدق القائل ... جدد (١٤٧)

٢٧) لأن هذا الإنسان .. طالعاً (١٤٨)

وقبل أن نسرع إلى استخلاص النتائج من هذه المقارنة علينا أن نجيب على السؤال الآتي : هل كان للأدب الصغير أثر في المصادر من بعده، وإلى أي حدٍّ كان معتمداً في النقل .

٣ النقول عن الأدب الصغير :

يجب أن نقرر أولاً أن جميع ما نقل في المصادر مما هو وارد في الأدب الصغير لم يذكر فيه اسم هذا الكتاب إطلاقاً . وقد كان أكثر النقول من القسم الرابع ، أي أنها – على الأغلب – نقلت من كليلة ودمنة مباشرة لا من المجموع المعروف باسم الأدب الصغير ، وليس في تعليل ما نقل من القسم الرابع أية صعوبة ، وهذه نماذج لما نقل :

١ – جاء في عيون الأخبار « وليس خلة يمدح بها الغني إلا وهي للفقير عيب ، فإن كان شجاعاً قيل أهوج ، وإن كان وقوراً قيل بليد ، وإن كان لسناً قيل مهذار ، وإن كان زميتاً قيل عيي » [1] وصرّح ابن قتيبة أنه وجدها في كتاب للهند ، وهو حين يذكر ذلك فإنما يعني – في معظم الأحوال – كليلة ودمنة .

ومن الطريف أن التوحيدي نقل هذه العبارة نفسها مبتدئاً بقوله : « فإذا افتقر الرجل اتهمه من كان له مؤتمناً ... وإن كان شجاعاً سمي أهوج » ونسبها لبعض السلف [2] ، ثم أتبعها بنقل آخر : « الفقر سالب

---

(١) عيون الأخبار ١ : ٢٣٩ ، وانظر كليلة ودمنة : ١٤٠ ، ورسائل البلغاء : ٣٤ – ٣٥

(٢) البصائر ٢ : ٢٠٩

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

للعقل والمروءة ، مذهبة للعلم والأدب ، معدن للتهم ، جامع للمكاره ، لأن صاحبه لا يجد بداً من اطراح الحياء ، ومن ذهب حياؤه ذهب سروره..»[1] وهو وارد – مع اختلاف يسير – في الأدب الصغير وكليلة ودمنة ، إلا أن أبا حيان نسبه لبعض الأدباء .

٢ – وعند ابن قتيبة وغيره : « الملك الحازم يزداد برأي الوزراء الحزمة كما يزداد البحر بمواده من الأنهار » ومرة أخرى كان النقل عن كتاب للهند لا عن الأدب الصغير [2] .

٣ – وورد هذا الرجز .

والسبب المانع حظ العاقل هو الذي سبب رزق الجاهل

وهو نظم لهذا القول : « السبب الذي يدرك به العاجز حاجته هو الذي يحول بين الحازم وطلبته » وهو قول مشترك بين الأدب الصغير وكليلة ودمنة [3] « وروده في العقد [4] ربما دلّ على أنه من ترجمة مبكرة لعلها لا تتجاوز نظم أبان اللاحقي لكليلة ودمنة ، وليس هناك ما يدل على أن حكم الأدب الصغير قد نظمت شعراً .

٤ – ونقل الطرطوشي : « اعلموا أن المستشير وإن كان أفضل رأياً من المشير فإنه يزداد برأيه رأياً كما تزداد النار بالسليط ضوءاً » . واستمرار

---

(١) البصائر ٢ : ٢٠٩

(٢) عيون الأخبار ١ : ٢٧ والعقد ١ : ١٢٣ ، ٢١٤ وسراج الملوك : ٦٨ ورسائل البلغاء : ٣٣ وكليلة ودمنة : ١٥٦

(٣) رسائل البلغاء : ٣٣ وكليلة ودمنة : ١٢٩

(٤) العقد ٢ : ٤٤٣ وفصل المقال : ٢٨٥

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

النقل لديه يدل قطعاً على أنه ينقل من كليلة ودمنة (١).

٥ — وجاء عن الطرطوشي أيضاً : « لا يطمعن ذو الكبر في الثناء ، ولا الحب في كثرة الصديق ، ولا السيء الأدب في الشرف . الخ » ونسب القول لبعض الحكماء (٢) .

فهذه نقول خمسة لا لبس في مصدرها ، وكلها من القسم الرابع ، ولكن الأمر يختلف بعض الشيء بالنسبة للأقسام الثلاثة الأخرى ، فأما القسم الثاني (١٦ ٢٤) فلم أعثر على نقول منه ، وأما الأول فقد وجدت منه ثلاثة نقول : اثنان مما يشترك فيه مع كليلة ودمنة ، وواحد لا ندري أصله ، وهذه هي :

٦ — أورد أسامة بن منقذ هذه العبارة : « ويجب على الملوك تعاهد عمالهم والتفقد لأمورهم حتى لا يخفى عليهم إحسان محسن ولا إساءة مسيء ، ثم عليهم بعد ذلك ألا يتركوا محسناً بغير جزاء ولا يقروا مسيئاً ولاعاجزاً على العجز والإساءة ، فإنهم إن صنعوا ذلك تهاون المحسن واجترأ المسيء وفسد الأمر وضاع العمل » (٣) .

هذه العبارة مشتركة بين الأدب الصغير وأقوال الحكيم الفارسي (٤) ولكن بما أنها وردت في كليلة ودمنة ، فمن السهل أن يعين مصدرها ،

---

(١) سراج الملوك : ٦٨ وكليلة ودمنة : ١٥٧ والأدب الصغير : ٣٣ (وانظر القسم الرابع من هذا البحث رقم : ٥)

(٢) سراج الملوك : ٦٢ والأدب الصغير : ٣٣ وكليلة ودمنة : ١٨٠ (وانظر القسم الرابع ، رقم ٦)

(٣) لباب الآداب : ٤٢ (٤) رسائل البلغاء : ١٦

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد صورها أسامة بقوله « وقالوا » (يعني الحكماء) ، والعبارات السابقة لها واللاحقة تؤكد أن النقل قد تم عن كليلة ودمنة [١] .

٧ – وجاء في العقد وسراج الملوك : لاينفع الملك إلا بوزرائه ، ولا ينفع الوزراء والأعوان إلا بالمودة والنصيحة ولا تنفع المودة والنصيحة إلا مع الرأي والعفاف .. [٢] » .

وهي أيضاً عبارة مشتركة بين الأدب الصغير وأقوال الحكيم الفارسي [٣] ولكنها كذلك في كليلة ودمنة [٤] .

٨ – وجاء في العقد : وقالوا (يعني الحكماء) : لا ينبغي للعاقل أن يستصغر شيئاً من الخطأ والزلل ، فإنه متى استصغر الصغير يوشك أن يقع في الكبير ، فقد رأينا الملوك تؤتى من العدو المحتقر ، ورأينا الصحة تؤتى من الداء اليسير ، ورأينا الأنهار تتدفق من الجداول الصغار [٥] .

وهي أيضاً مما ورد في كل من الأدب الصغير وأقوال الحكيم الفارسي [٦] ، وعدم ورودها في كليلة ودمنة يخلق مشكلة في المصدر الذي أخذ عنه صاحب العقد أو سواه .

وهذه العبارة – إن لم تكن قد وردت في إحدى نسخ كليلة ودمنة – تومىء إلى أن ترجمة أقوال الحكيم الفارسي قد تمت قبل مطلع القرن الرابع بكثير (توفي ابن عبد ربه سنة ٣٢٨ وهو ينقل ولا ريب عن مصدر مشرقي) .

---

(١) كليلة ودمنة : ٢٥٨

(٢) العقد ١ : ٣٢ – ٣٣ وسراج الملوك : ٦١

(٣) انظر رقم ٩ في الجدول المقارن .

(٤) كليلة ودمنة : ٢٥٧ – ٢٥٨

(٥) العقد ١ : ٤٣ (٦) انظر الجدول المقارن رقم ٦

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أما القسم الثالث فقد نقل منه عبارتان وهما :

٩ — ما ورد في عيون الأخبار : « فضل الأدب في غير دين مهلكة، وفضل الرأي إذا لم يستعمل في رضوان الله ومنفعة الناس قائد إلى الذنوب، والحفظ الزاكي الواعي لغير العلم النافع مضرّ بالعمل الصالح ، والعقل غير المورّع عن الذنوب خازن للشيطان »(١) وهو يقابل في الأدب الصغير : « فضل العلم في غير الدين مهلكة ، وكثرة الأدب في غير رضوان الله ومنفعة الأخيار ، قائد إلى النار ، والحفظ الذكي الواعي .. للشيطان »(٢).

ويمكننا أن نقيد على هذه العبارة الملاحظات التالية :

ا — نسبها ابن قتيبة للحكماء ولم ينسبها لابن المقفع على التعيين .

ب — لم ترد في الوصية الفارسية .

ج — الاختلاف الكبير بين النصين يدل على أن ابن قتيبة ينقل عن مصدر آخر لا نعرفه (٣) .

١٠ - ونقل ابن حمدون العبارة الآتية : أمور لا تصلح إلا بقرائنها، لا ينفع العقل بغير ورع ، ولا الحفظ بغير عقل ، ولا شدة البطش بغير شدة القلب ، ولا الجمال بغير حلاوة ، ولا الحسب بغير أدب ، ولا السرور بغير أمن ، ولا الغنى بغير جود ، ولا المروءة بغير تواضع ، ولا الخفض

(١) عيون الأخبار ١ : ٣٢٩ (٢) رسائل البلغاء : ٣٢

(٣) إن ورود هذه العبارة في عيون الأخبار ، ووجود عبارة مشابهة لها في الأدب الصغير ، يجعلنا نعتقد — خلافاً لما رآه الأستاذ رختر — أن بعض ما أدرج في « الأدب الصغير » يعود إلى ما قبل ابن قتيبة (أي قبل ٢٧٦) ؛ أما جمع الكتاب وترتيبه فربما كان رختر فيه على صواب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بغير كفاية ، ولا الاجتهاد بغير توفيق »[١] — نقلها ببعض اختصار ونسبها إلى فيلسوف ؛ ومما يقوّي الظن بأن أصل هذا القول متعدد الوجوه أن أبا حيان التوحيدي أورده ثلاث مرات ، وهو يختلف في كل مرة عنه في الأخرى ، ونسبه في المرات كلها أيضاً إلى فيلسوف[٢] ؛ وهذا القول وإن كان له نظير في كليلة ودمنة : « ولا خير في الكلام إلا مع الفعل ، ولا في الفقه إلا مع الورع ، ولا في الصدقة إلا مع النية ، ولا في المنظر إلا مع المخبر ، ولا في المال إلا مع الجود ، ولا في الحياة إلا مع الصحة والسرور والأمن »[٣] فإن ذلك أدعى لانبهام المصدر الذي عنه نقل ، ولو كان وارداً في الوصية الفارسية لقلنا إن ابن حمدون نقله عنها ، ولكنه أيضاً مما انفرد به الأدب الصغير .

وخلاصة القول إن فقدان المصدر — أو المصادر — التي استقيت منها الأقوال الواردة في القسم الثاني ، والأقوال التي انفرد بها القسم الثالث لا تزال تمثل مشكلة في طبيعة تكوين « الأدب الصغير » غير أن من المقطوع به أن أحداً لم ينقل عنه ، إلا أن يكون ابن حمدون في العبارة الأخيرة وإن كانت نسبة العبارة إلى فيلسوف مما يضعف مثل هذا الفرض .

٤ — نتائج الدراسة فيما يتعلق بالأدب الصغير :

١ — عرفنا ثلاثة من مصادر هذا الكتاب وهي أقوال حكيم فارسي ووصية فارسية ، وحكم من كليلة ودمنة ، فإذا كانت الأقوال الأخرى

(١) تذكرة ابن حمدون ٩ — ١٠ ورسائل البلغاء ٢٨

(٢) البصائر ١ : ٣٨٧ ، ٤٧١ ، ٤ : ٢١٨ — ٢١٩

(٣) كليلة ودمنة : ٩٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في القسم الثاني مأخوذة في معظمها من مصدر واحد ، فللكتاب إذن أربعة مصادر رئيسية ، في أقلّ تقدير .

٢ – ورود أقوال الحكيم تتلوها الوصية الفارسية ثم استمرار الوصية في سياقها يدلّ على أن مسكويه كان يعتمد على أصل ذي ترتيب معين ، ولكنه لم يكن هو الذي ترجم هذا الأصل ، وإنما وجده مترجماً ونقله ، ذلك أن بعض عبارات ذلك الأصل وجدت في كتب سابقة على عصر مسكويه .

٣ – لقد كان مسكويه يعرف الآداب الكبير معرفة وثيقة وقد نقله – أو معظمه – في كتابه – فإذا كان يعرف أن ما جاء في أقوال الحكيم والوصية لابن المقفع فلم لم يصرّح بذلك ؟

٤ – كيف نفسر اشتراك النصين في جاويذان خرد والأدب الصغير بإيراد عبارات معينة من كليلة ودمنة ؟ قبل الإجابة على هذا السؤال يجب أن نقرر أن ما نقل عن هذا الكتاب يحمل اختلافات كثيرة في العبارة ، وأن كتاب كليلة ودمنة ، فيما تدل نسخه المختلفة ، متفاوت وهذا التفاوت يعني أنه قد أضيف إليه لا أنه نقل عنه . وإذا قدرنا أن نص الحكمة الخالدة بشقّيْه يعتمد أصلًا فارسياً ، فليس من الخطأ أن نفترض أن حكماً كثيرة من كليلة ودمنة كانت قد اقتبست وأدرجت في المجموعات القديمة من الحكمة الفارسية . وقد نفترض أن جامع الأدب الصغير أدرك هذه الناحية في مصادره فأسرف في الاعتماد على كليلة ودمنة حتى جاء ما زاده في سبعة وعشرين موضعاً بينما لم يتجاوز في الحكمة الخالدة سبعة مواضع (باستثناء الفقرة الوارد في القسم الأول) . ثم إننا نستبعد أن يعمد ابن المقفع نفسه إلى استخراج الحكم من كتاب ترجمه ليدخلها في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بنية كتاب آخر ، فهذا يمكن أن يتمّ في عهد التكسب بالكتب ، ولم يكن ابن المقفع بحاجة إلى ذلك ؛ وقياساً على ما جرى في يتيمة السلطان (وهي كتاب مفضوح في تصويره للتلفيق) يمكن القول إن الأدب الصغير أيضاً لا يعدو أن يكون عمل وراق ، رأى أن نسبة ما جمعه لابن المقفع تكسب الكتاب قبولاً ورواجاً . وقد شجعه على ذلك أنه أكثر فيه من النقل عن كليلة ودمنة .

٥ — هل يمكن أن يقال إن الأدب الصغير كان هو الأصل وأن مسكويه أخذ منه ومن غيره ، وأنه حذف مقدّمته كما حذف مقدمة الكبير وأسقط بعض العبارات منه (وخاصة في القسم الثالث) كما أسقط كثيراً من عبارات الأدب الكبير ؟ هـذا فرض غير مستبعد ، ولكنه رغم وجاهته لا يمكن أن يؤخذ دليلاً على أن الكتاب من صنع ابن المقفع .

٦ — بقي أن نتحدث عن المقدمة التي لم يرد منها في الحكمة الخالدة إلا جملة واحدة ؛ في هذه المقدمة نغمة نجدها تتكرر عند بعض حكماء يونان ، فهذا القول : « ولسنا إلى ما يمسك بأرماقنا من المطعم والمشرب بأحوج منا إلى ما يثبت عقولنا من الأدب الذي به تفاوت العقول ، وليس غذاء الطعام بأسرع في نبات الجسد من غذاء الأدب في نبات العقل ، ولسنا بالكد في طلب المتاع الذي يلتمس به دفع الضرّ والعيلة بأحق منا بالكدّ في طلب العلم الذي يلتمس به صلاح الدين والدنيا » مما نجد مشبهات له في الحكم اليونانية . فمن أقوال باسيليوس : « إنه من القبيح أن يتحرز في أغذية البدن كي لا تكون ضارّة ، ولا يتحرز في العلم وهو

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

غذاء النفس حتى لا يكون باطلاً ضاراً » (١) . وجاء أيضاً في أقوال هذا الحكيم نفسه : « إن كنّا نعنى بجميع أعضاء البدن وخاصة بالأشرف منها ، فبالحري ينبغي أن نعنى بجميع أجزاء النفس وخاصة بالأشرف منها وهو العقل » (٢) . وقريب من هذا قول ينسب إلى أوجانس : « رأيت الناس إذا قدّم إليهم الطعام تكلفوا تعظيم المصابيح والإكثار من الدهن ، لينظروا ما يدخلون بطونهم من الطعام ... ثم لا يهتمون لطعام النفس الموقرة ، ولا يهتمون بأن يتكلفوا في ذلك مؤونة ولا أن ينيروا مصابيح النهى بالعلم والفهم .. » (٣) . إننا لنجد هنا الصورةَ نفسها ، أعني الحديث عن غذاء الجسد (أو البدن) وغذاء العقل ، وقيمة العلم ، - وكلها عناصر مشتركة - إلا أننا بينما نجد « الأدب » في المصطلح الفارسي ، لا نجد شيئاً يقابله في المصطلح اليوناني ، ولعل « الحكمة » هنا هي التي كانت ستحتل هذا الموضع ، كما أنّ الحديث عن « النفس » في الحكم اليونانية ، لا يجد ما يقابله في الأقوال الفارسية . لكن الفروق رغم ذلك تظل ضئيلة ، فإن المرمى - في النهاية - واحد . وليس من همٍّ هنا أن أعلل لهذا اللقاء فذلك أمر قد مرّ الحديث عنه من قبل ، ولست أريد أن أقول أيضاً ، إن المقدمة ربما كانت بسبب هذا الجو مجتلبة ، وإن الذي حاكها كان يعرف كثيراً من مواطن اللقاء بين الأدبين الفارسي واليوناني ، فلعلها كانت موجودة في الأصل الفارسي ، وحذفها مسكويه ، كما فعل في مقدمة الآداب الكبير ، أو لعله لم يجد لديه مقدمةً

(١) مختار الحكم : ٢٨٣ (٢) مختار الحكم : ٢٨٤

(٣) مختار الحكم : ٣٠٩

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ليحذفها . وإذا قال قائل بحق إن روح هذه المقدمة تشبه مقدمة الأدب الكبير ، سلّمنا له ذلك ، وقدّرنا أن يكون واضع هذه المقدمة قد أحسن المحاكاة لابن المقفع .

٧ – وأياً كانت الصعوبات التي تعترض القطع الحاسم بأن الأدب الصغير ليس من صنع ابن المقفع ، فإن من أقوى الحجج التي تنفيه عنه أن المصادر لم تعرف مثل هذا الكتاب ، ولهذا فإنها لم تنقل عنه ، وكل ما في المصادر من مشابه به لا يعدو كثيراً ما يشارك فيه كليلة ودمنة .

المراجع

١ . الأدب الصغير لابن المقفع ، تحقيق أحمد زكي باشا ، الاسكندرية ١٩١١

٢ – إعجاز القرآن للباقلاني تحقيق السيد أحمد صقر ، القاهرة

٣ – الإعلام بمناقب الإسلام لأبي الحسن العامري ، تحقيق الدكتور أحمد عبد الحميد غراب ، القاهرة ١٩٦٧

٤ – البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي ، تحقيق الدكتور إبراهيم الكيلاني ، دمشق .

٥ - تذكرة ابن حمدون (الرسائل النادرة رقم : ٣) ، القاهرة ١٩٢٧

٦ - الجاحظ ، للدكتور طه الحاجري ، القاهرة (الطبعة الثانية) ١٩٦٩

٧ – الحكمة الخالدة لمسكويه ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي ، القاهرة ١٩٥٢

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٨ – الدرة اليتيمة لابن المقفع ، تحقيق شكيب أرسلان القاهرة ١٨٩٧

٩ – رسائل البلغاء ، تحقيق محمد كرد علي ، القاهرة ١٩٤٦

١٠– سراج الملوك للطرطوشي ، القاهرة ١٣١٩

١١– السعادة والإسعاد لأبي الحسن العامري ، تحقيق مجتبى مينوي ، فيسبادن ١٩٥٧–١٩٥٨

١٢– شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة

١٣– عبد الله بن المقفع لمحمد غفراني خراساني ، القاهرة

١٤– العقد لابن عبد ربه ، تحقيق أحمد أمين ورفيقيه ، القاهرة ١٩٤٠

١٥– عهد أردشير ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٧

١٦ عيون الأخبار لابن قتيبة (طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة) ١٩٢٥

١٧– عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ، المطبعة الوهبية ، القاهرة ١٨٨٢

١٨– فرهنك ايران وتأثيرآن در تمدن اسلام الدكتور محمد محمدي ، طهران .

١٩ فصل المقال لأبي عبيد البكري ، تحقيق احسان عباس وعبد المجيد عابدين ، بيروت ١٩٧١

٢٠– الفهرست لابن النديم ، تحقيق فلوجل

٢١ كليلة ودمنة لابن المقفع ، بيروت ١٩٧٥

٢٢– لباب الآداب لأسامة بن منقذ ، تحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر ، القاهرة ١٩٣٥

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٢٣- مختار الحكم للمبشر بن فاتك، تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي، مدريد ١٩٥٨

٢٤- مقالات فلسفية قديمة، تحقيق لويس شيخو، بيروت

٢٥ من حديث الشعر والنثر للدكتور طه حسين، القاهرة ١٩٥١

٢٦ نهج البلاغة، تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة

٢٧- وفيات الأعيان لابن خلكان (ج: ٢)، تحقيق الدكتور احسان عباس، بيروت ١٩٦٩

٢٨- Gabrieli, F. : L' Opera di Ibn al Muqaffa' in RSO vol. x III Fasc III 1932 pp. 197 - 247

٢٩- Richter, G : über das Kleine Adabbuch des Ibn al Muqaffa' in der Islam, 1931 pp. 278 - 81

٣٠- Rosenthal, E. Political Thought in Medieval Islam Cambridge, 1958 pp. 69 - 71

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net